السل وعلاجهُ الحديث

جاء محل عيادتي منذ ايام قليلة احد الافاضل وفي يدهِ عدد من اعداد المقتطم ذُكر فيهِ شيءٌ عن دواء جديد للسل جرَّبهُ احد اطباء برلين ونجح في كثيرين من المصابين بالسل . وسألني هذا الفاضل رأيي في هذا العلاج وكيفية الحصول عليهِ وغير ذلك من المسائل التي تتكرر على مسامعي كل يوم ممن يقرأون في الجرائد اليومية عن الاكتشافات الطبية الجديدة وعن عجائب العلاجات الحديثة . فخطرت لي كلمة في هذا الموضوع ربما تجيء بفائدة فنبهت العليل الى ان الشفاء لا يرجى من جرعة دواء حديث لاسيما في مرض مثل السل وكتبت هذه العجالة

لا يمر يوم الاَّ ونرى في الجرائد اليومية ذكر دواء جديد او علاج مفيد في باب الاكتشافات او في باب الاعلانات الطويلة العريضة القائلة ان الدواء الفلاني يشفي من العلة الفلانية او من اكثر العلل ونحو ذلك من الاقوال التي تضل العامة وتحيد بهم عن اتباع الطرق القويمة لنيل الشفاء من العال او تخفيف الآلام . فان كثيرين من البسطاء يتهافتون على مشترى الادوية المار ذكرها ويتجرعونها وهم يتوقعون منها الشفاء السريع فاذا خاب املهم وجهوا ملامهم الى الطب والاطباء وما ذلك الاَّ لانهم يجهلون ما يجب على كل عاقل معرفتهُ وهو ان الطبيب الحاذق يدرس العليل وهو يدرس علتهُ فيصف لهُ ما يلائم طبعهُ ومزاجهُ وعلتهُ بمقادير مناسبة ولذا كانت استشارة الاطباء واجبة قبل اخذ الدواء

والسل داء فتاك يجانب كبير من البشر واسع الانتشار في المعمورة حارب الانسانية منذ القرون السالفة ولا يزال ينتاب الناس على اختلاف طبقاتهم ورتبهم . عرفهُ اليونان والرومان وكثرت علاجاتهم لهُ منها ما يضحك اطفال هذه الايام ومنها ما يسلِّم بهِ العقل . الاَّ ان حقيقة السل وسببهُ لم يعرفا تماماً حتى قام كوخ واكتشف الميكروب او الباشلس المعروف باسمهِ وبيَّن ان علاقة هذا الباشلس بداء السل والتدرُّن مستديمة . و بحث كوخ في هذا الموضوع بالغ الغاية في الدقة ومستوفٍ الى حدّ انهُ لم يزد عليهِ احد شيئاً مع انهُ قد مضى عليهِ سنون عديدة منذ ظهورهِ بل ان قول كوخ جُعل اساساً لكل مبحث في هذا الموضوع . وجملة القول ان كوخ اكتشف جسماً مكرسكوبيًّا مستطيلاً اعقف اذا جمع الف ميكروب منهُ لم يبلغ طولها كلها سوى ثلاثة ملمترات او اربعة يصبغ بالانيلين ويحفظ لون الصبغة ولو وضعت عليهِ الحوامض خلافاً لغيرهِ من انواع الميكروبات (ما عدا باشلس الجذام)

ووجد كوخ ان هذا الميكروب موجود في كل عضو من اعضاء الجسم المصاب بالتدرُّن

وكذلك في رئات المسلولين ونفثهم وانهُ اذا ربي في المواد التي يعيش فيها وطعمت بهِ بعض الحيوانات الصغيرة اصيبت بالتدرن. ويستنتج من ذلك انهُ هو علة السل وان الوراثة انما تساعد الباسلس باعدادها اجساماً صالحة لنموهِ اي ان ابن المسلول يكون جسمهُ مستعدًّا لقبول ميكروب السل اكثر من جسم من كان ولداهُ او اسلافهُ اقوياء اصحاء لا يعرفون السل

واعراض السل معلومة لدى الجمهور اكثر من اعراض اي مرض سواهُ لذلك لا اتعرض لذكرها هنا اذ ليس قصدي وصف العلة واعراضها وصفاً علمياً دقيقاً بل اظهار طريقة العلاج الحديثة لهذا الداء ومنها يعرف ان الشفاء لا ينال بالادوية والعقاقير بل بطرق المعالجة والمداراة والاعتناء وكلها امور اصبح لها المقام الاول في عرف الطب الحديث

تكثر جرائد اوربا واميركا من ذكر "السناتوريا" (المصحات) فانها اصبحت ملجأ المسلولين يعالجون فيها على الطرق الحديثة النافعة ويتمتعون بالراحة والرفاهة مما لا يحصل عليهِ الانسان في بيتهِ ما لم يكن من ذوي اليسار وقد اهتم اهل العاصمة بمسألة السل في العام الفائت والفوا لجنة كنتُ من جملة الذين دعوا للانضمام اليها والقصد منها مقاومة مرض السل في القطر المصري الاَّ ان الهمم فترت عن هذا المسعى الجليل وربما عادت يوماً اليهِ فاسفرت المسألة عن بناء "سناتوريوم" (مصح) في حلوان على شاكلة المصحات في البلاد المتمدنة

اما المبادئُ التي تدور عليها المعالجة الحديثة في المصحات فهي هذه

(١) استنشاق الهواء النقي وتكييفهُ بحيث لا تتغير درجة حرارتهِ تغيرًا يشعر بهِ

(٢) التغذية الجيدة الكافية لحفظ الجسم على وزنهِ الطبيعي اي كما كان قبل المرض

(٣) العيشة القانونية المرتبة التي تعفي كل اعضاء الجسم لاسيما الرئتين من التعب

(٤) الرياضة المعتدلة

ولا بدَّ لي من شرح كل من هذه الامور الاربعة شرحاً موجزًا

(١) يفرض على العليل في المصحات ان يعيش في الهواء النقي دواما ولا يتعرض لتغيرات الحرارة مثل ان ينتقل من غرفة دافئة الى غرفة باردة وان تحفظ حرارة غرفتهِ نهارًا وليلاً مثل حرارة الهواء خارجاً بان تترك الشبابيك والنوافذ مفتوحة فلا يدخلها الاَّ الهواء النقي الخالي من الغبار ومن المواد الضارة وبذا يقوى جسمهُ فلا يعود يتعرَّض للزكام ولا تشتد عليهِ العلة فيتيسر للانسجة التي يكون قد بدأ فيها المرض ان تعود الى الشفاء قدر استطاعتها. ثم انهُ يترك وحدهُ في كثير من الاوقات فلا يسمح لاحد ان يدخل غرفتهُ. ويدقق في مسألة اتقاء الفرش والاثاث لغرفتهِ ويعتنى اشد الاعتناء بتنظيف كل الادوات التي يمسها او

يستعملها وتوضع لهُ مبصقة فيها من المواد القاتلة للباشلس وبالاختصار يقال ان قسماً مهماً من معيشتهِ يتوقف على الهواء النقي

(٢) التغذية الكافية بالرغم عن فقد شهيَّة الطعام فيجبر على اكل كميَّة وافرة من الطعام لا تقلُّ عمَّا كان يأكلهُ وهو سليم فيصرف نحو ساعتين احياناً ليتمكن من تناول الكمية المفروضة عليهِ . ويطعم ثلاث مرات في النهار ولا يمنع من المآكل التي يريدها ويطلبها بشرط ان تكون مغذية ومطبوخة طبخاً جيداً وينتخب لهُ ما كثرت فيهِ المواد الدهنيَّة ويسقى كميات وافرة من اللبن مع هذه الوقعات الثلاث فيشربهُ كأنهُ الماء ويداوم على ذلك الى ان يعود جسمهُ الى وزنهِ الاصلي فيسقى حينئذٍ البيرا او النبيذ عوض اللبن حسب مقتضى الحال . وقد اكد الاطباء المكلفون بالمصحات ان كثرة الغذاء تاتي باحسن الفوائد الصحيَّة للسلولين وانها احسن واسطة لهبوط درجة حرارة الحمى . وكثيرون من هؤلاء الاطباء يطعمون مرضاهم وهم واقفون امامهم يكلمونهم ويشجعونهم على الاكل

(٣) ترتب معيشة العليل حتى ينام ويأكل ويشرب في اوقات معينة وكذلك يسمح لهُ بالرياضة المعتدلة مثل المشي ببطء وصعود التلال مسافات قصيرة تختلف من بضعة امتار الى ميل واحد او اكثر حسب مقدرة العليل ثم النزول من التلال ويمنع عن العدو او الركض فان ذلك يزيد عمل الرئتين ويرفع درجة الحرارة . وكذلك يمنع عن مباشرة كل مهيج من شانهِ ان يرفع الحرارة كالضرب على البيانو او لعب الورق او الشطرنج . ومن كان قد تمكن منهُ المرض يمنع من مقابلة اصدقائهِ ومعارفهِ خوف ان يتأثر من ذلك فيأول هذا التأثر الى معاكسة المعالجة

(٤) اما الرياضة ونوعها ومدتها فتتوقف على حالة المريض لذلك وجب ان تكون تحت مراقبة الطبيب دواماً يتدبر امرها معتمداً على شعور العليل وتأثير الرياضة على جسمهِ

وبالاجمال يقال ان معالجة السل الحديث تقوم بتوجيه القوى والافكار الى تقوية الاجسام وجعل انسجتها قادرة على مقاومة شر العدو الفتاك ألا وهو باشلس السل

قال احد اطباء هذه الايام وهو يبحث عن انتشار السل ووسائل الوقاية منهُ التي آلت الى تقليل عدد الوفيات بهِ عمَّا كانت عليهِ قبلاً " ان ارتفاع اجور العمال من كل الطبقات وتحسن المعيشة واتخاذ الوسائط الصحية كالاهتمام بامر مساكن الفقراء كانت السبب الاكبر في اضعاف قوة السل فقللت عدد ضحاياهُ " . فعسى ان ينتبه القراء الكرام الى هذه الامور ويذكروا ان غاية ما ينظر اليهِ في علاج هذا الداء الهواء النقي والتغذية الكافية والعيشة القانونية والرياضة المعتدلة

انيسة صبيحة
دكتور في الطب والجراحة